

من ويندهوك إلى غزة: استمرارية تواطؤ ألمانيا ووعد "أبداً مرة أخرى" المكسور

علاقة ألمانيا بالإبادة الجماعية ليست تاريجية فحسب؛ بل هي وجودية. تم بناء هوية الأمة الحديثة على التذكر والتوبة ووعد «**Nie wieder**» — «أبداً مرة أخرى». ومع ذلك، في القرن الحادي والعشرين، بينما تشن إسرائيل حرباً مدمراً على غزة يعترف بها عدد متزايد من الدول والمؤسسات والقانونيين بإبادة جماعية، تجد ألمانيا نفسها مرة أخرى متورطة في فظائع — هذه المرة، كممك.

السخرية مذهبة: الدولة التي جعلت منع الإبادة الجماعية أساسها الأخلاقي تسلح الآن وتحمي حملة تحمل هذا الاتهام بالذات. مأساة ألمانيا ليست فقط في تكرار التاريخ، بل في سوء تفسير معنى «أبداً مرة أخرى». ما بدأ كتعهد عالمي لمنع الإبادة الجماعية تحول إلى وصية ضيقة: أبداً مرة أخرى إيذاء اليهود — حتى لو كان ذلك يعني تجاهل أو تسهيل الإيذاء للآخرين.

النشأة الاستعمارية للحداثة الإبادية

كان طريق ألمانيا إلى العصر الحديث مرصوفاً بالعنف الاستعماري. بين عامي 1904 و1908، خلال حكمها في جنوب غرب أفريقيا (ناميبيا الآن)، أباد القوات الألمانية تحت قيادة الجنرال لوثار فون تروثا عشرات الآلاف من شعبي الهيرريرو والناما بعد ثورة ضد الاستغلال الاستعماري. تم دفع الناجين إلى الصحراء ليموتوا أو سجنهما في معسكرات اعتقال مثل جزيرة شارك، حيث تعرضوا للتوجيع والعمل القسري والتجارب الطبية.

يعتبر المؤرخون هذا أول إبادة جماعية في القرن العشرين، واستمرارياته مع الهولوكوست واضحة. العلم الزائف العنصري، والقتل البيروقراطي، ومعسكرات الاعتقال وجدت تعبيراً مبكراً في ناميبيا. يوحين فيشر، الذي أجرى «دراسات عنصرية» على جماجم الهيرريرو والناما المقتولين، أصبح لاحقاً عالماً بارزاً في علم الوراثة تحت النازيين وعلم النظريات المذكورة في كفاحي.

لم تكن إبادة الهيرريرو-ناما شذوذًا بل نموذجاً — التدريب الاستعماري على الحداثة الإبادية. منطق التسلسل الهرمي العنصري، الذي تم تصديره إلى الخارج، عاد في النهاية إلى أوروبا، صناعياً وميكانيكياً كالهولوكوست.

الهولوكوست وإرث المسؤولية

بعد عام 1945، قامت ألمانيا بمحاسبة عميقة. أصبحت الهولوكوست الصدمة المركزية للحضارة الحديثة، وحددت **Vergangenheitsbewältigung** الألمانية — صراعها لمواجهة الماضي — ولادتها السياسية والأخلاقية الجديدة. أسست الجمهورية الاتحادية الجديدة نفسها على دستور يرسخ كرامة الإنسان واعتمدت واجباً صريحاً لمنع تكرار العنف الإبادي.

ومع ذلك، مع مرور الوقت، ضاقت عالمية ذلك الدرس. تفرد الهولوكوست، بدلًا من إلهام التضامن مع جميع ضحايا الاضطهاد، تحول إلى مبدأ التزام حصري تجاه اليهود وإسرائيل. رسخت الحكومات الألمانية المتعاقبة أمن إسرائيل كـ **Staatsräson** — سبب دولة — محولة التوبة الأخلاقية إلى تحالف استرategiي.

هذا التطور حول “أبدأ مرة أخرى” من حظر عالمي إلى عصاب وطني، حيث يتجاوز الشعور بالذنب التاريخي تجاه اليهود التعاطف مع الآخرين — خاصة الفلسطينيين. أصبح الرد الأخلاقي دفاعياً بدلًا من تأملي، أدائياً بدلًا من مبدئي.

غزة وعكس “أبدأ مرة أخرى”

الحملة العسكرية الإسرائيلية في غزة، التي انطلقت في أكتوبر 2023، قتلت عشرات الآلاف من المدنيين وأنتجت كارثة إنسانية. دول مثل جنوب أفريقيا والبرازيل وتركيا وبوليفيا، إلى جانب لجنة التحقيق التابعة للأمم المتحدة، وصفت أفعال إسرائيل بأنها إبادة جماعية بموجب القانون الدولي.

ألمانيا، مع ذلك، بقيت واحدة من أشد المدافعين عن إسرائيل. تواصل الموافقة على تصدير الأسلحة، وتقديم الغطاء الدبلوماسي، وقمع الاحتجاج المحلي. في عام 2025، أعلن المستشار فريديريش ميرز تعليقاً محدوداً لتسليم الأسلحة التي قد تستخدم في غزة، لكن فقط بعد انقاد عالمي مستمر واحتياج داخلي. في الوقت نفسه، قامت ألمانيا بقمع المظاهرات المؤيدة للفلسطينيين، ورقابة الفنانين والأكاديميين، وخلط الدعوة لحقوق الفلسطينيين مع معاداة السامية.

في الواقع، أعادت ألمانيا تفسير نذرها التاريخي. “أبدأ مرة أخرى” لم يعد يعني “أبدأ مرة أخرى لأي شعب” — بل يعني “أبدأ مرة أخرى مواجهة اليهود”. النتيجة هي انعكاس أخلاقي: الأمة التي وعدت ذات مرة بمنع الإبادة الجماعية تبرر الآن التواطؤ في واحدة.

تشبيه “متنمر الفناء المدرسي”: علم نفس الأخلاق للتجنب

موقف ألمانيا يشبه علم نفس متنمر في فناء المدرسة الذي، بعد الإذلال في قتال، يقسم لا يتحدى ذلك الخصم مرة أخرى — ليس من صحوة أخلاقية، بل من الخوف. بدلًا من نبذ العنف تماماً، يوجه المتنمر العدوان نحو من يُعتبر أضعف.

في هذا التشبيه، إسرائيل هي المقاتل غير القابل للمس، إلى الأبد خارج النقد؛ يصبح الفلسطينيون ومؤيدوهم الأهداف الجديدة المقبولة. ألمانيا، المصابة بصدمة ماضيها، استبدلت التأمل بالتجنب. تحول شعورها بالذنب التاريخي إلى جبن أخلاقي: لن تقف في وجه السلطة عندما تكون تلك السلطة مغطاة بهالة أخلاقية من ضحاياها السابقين.

السخرية مريرة. في محاولة عدم تكرار كونها مرتکبة لإبادة واحدة، تخاطر ألمانيا بأن تصبح متواطئة في أخرى.

تدخل ألمانيا الوحيد: من الذنب إلى الحراسة

قبل أن تجد نفسها كمدعى عليها في نيكاراغوا ضد ألمانيا، كانت برلين قد وضعت نفسها بالفعل على الجانب المعاكس من التاريخ في جنوب أفريقيا ضد إسرائيل. في يناير 2024، أصبحت ألمانيا الدولة الوحيدة في العالم التي تدخلت رسمياً في محكمة العدل الدولية دفاعاً عن إسرائيل، مستندة إلى التزاماتها بموجب اتفاقية الإبادة الجماعية — ليس لمنع الإبادة، بل للدفاع عن دولة متهمة بارتكابها.

كان الرمزية صارخة. بينما تجمع معظم الجنوب العالمي خلف قضية جنوب أفريقيا، وقفت ألمانيا معزولة بين قوى العالم، مستندة إلى "أبداً مرة أخرى" كتبيرر للإنكار. حتى الولايات المتحدة والمملكة المتحدة — أقرب حلفاء إسرائيل السياسيين — امتنعوا عن الحضور أمام المحكمة.

في تلك اللحظة، حولت ألمانيا نفسها من أمة ما بعد الإبادة تسعى للخلاص إلى حارس الإفلات من العقاب لفظائع الآخرين. كانت الإشارة أقل عن القانون وأكثر عن الهوية: فعل إسقاط أخلاقي حيث أصبح ذنب الهولوكوست درعاً للسلطة الإسرائيلية.

المحاسبة القانونية: نيكاراغوا ضد ألمانيا

في مارس 2024، رفعت نيكاراغوا قضية في محكمة العدل الدولية (ICJ) متهمة ألمانيا بانتهاك اتفاقية الإبادة الجماعية من خلال توريد الأسلحة والدعم السياسي لإسرائيل وسط حرب غزة. على الرغم من رفض المحكمة إصدار تدابير طارئة في أبريل 2024، إلا أنها لم ترفض القضية، التي تستمر في الجوهر.

هذه الإجراءات غير مسبوقة تاريخياً: دولة من الجنوب العالمي تستدعي اتفاقية الإبادة الجماعية ليس ضد المرتكب المباشر فحسب، بل ضد حليف قوي متهم بالتواطؤ. تختبر ما إذا كان واجب منع الإبادة الجماعية ينطبق بالتساوي على من يمكنونها.

دفاع ألمانيا يعتمد على الشكلية القانونية — مصراً على أن تصدير أسلحتها قانوني وأنها لا تحمل نية تدمير شعب. لكن السؤال الذي يجب على المحكمة مواجهته أخلاقياً بقدر ما هو قانوني: هل يمكن لدولة استدعاء ذكرى الإبادة الجماعية بينما تدعم مادياً واحدة جارية؟

استمراريات التواطؤ

عبر الزمن، اتسع تواطؤ ألمانيا نمطاً.

- في ناميبيا، بررت الإبادة لحفظ النظام.
- في الهولوكوست، بيرورقت القتل كدفاع عن النقاء العنصري.
- في غزة، شرعت تدمير الآخر كدفاع عن الكفار التاريخية.

في كل حالة، يخفي التبرير الأخلاقي العنف الهيكلي. في كل حالة، يستدعي "الأمن" و"الواجب" لتبرير الدمار البشري.

كما يلاحظ منظر ما بعد الاستعمار أشيل مييمبي، ذاكرة أوروبا لعنفها الخاص غالباً ما تصبح التبرير لعنف جديد. مفردات ألمانيا الأخلاقية — الإبادة الجماعية، التذكر، المسؤولية — تدار داخلياً، تخدم الخلاص الوطني بدلاً من العدالة العالمية.

استعادة "أبداً مرة أخرى" العالمي

لاستعادة معناه، يجب استعادة "أبداً مرة أخرى" إلى عالميته. ناجو الهولوكوست مثل بريمو ليفي وحنا أرندت لم يقصدوا أبداً أن يجعل التذكر يقدس معاناة مجموعة واحدة على أخرى. بالنسبة لهما، لم تكن أوشفيتز نصب تذكاري للضحية اليهودية فحسب بل تحذيراً من هشاشة كرامة الإنسان ذاتها.

كما كتب ليفي، «حدث، لذا يمكن أن يحدث مرة أخرى». كان الواجب الأخلاقي ضمان عدم حدوثه — لأي أحد.

طريق ألمانيا إلى الأمام يكمن في فهم أن التوبة ليست ولاًة لدولة، بل إخلاصاً لمبدأ. دعم العدالة للفلسطينيين لا يخون ذكرى معاناة اليهود؛ بل يكرمها. الدرس الحقيقي لـ“أبداً مرة أخرى” هو أن الإيادة الجماعية، إذا تُحملت في أي مكان، تهدد الإنسانية في كل مكان.

الخاتمة

مواجهة ألمانيا للإيادة الجماعية بعيدة عن الانتهاء. من صهاري ناميبيا إلى معسكرات الاعتقال في أوروبا، والآن إلى أنقاض غزة، يبقى السؤال الأخلاقي نفسه: هل ستتعلم ألمانيا من تاريخها، أم ستكرره بأشكال جديدة؟

سواء تفسيرها لـ“أبداً مرة أخرى” — كتعهد ولاء بدلًا من حظر عالمي — حول التذكر إلى تواطؤ. لنقتبس من تشبيه الفناء المدرسي: الدرس ليس «أبداً مرة أخرى قتال ذلك الخصم» بل «أبداً مرة أخرى كن متمنراً».

لخمسة وسبعين عاماً، دفعت ألمانيا تعويضات لإسرائيل عن فظائع الهولوكوست — فعل خلاص أخلاقي ومادي سعى لجعل التاريخ مقبولاً. ومع ذلك، إذا وجدت محكمة العدل الدولية في النهاية أن دعم ألمانيا لإسرائيل ساعد في إبادة جماعية في غزة، فستكون السخرية مدمرة: الدولة التي دفعت ذات مرة تعويضات عن إبادة جماعية ضد اليهود قد تجد نفسها مضطربة لدفع تعويضات عن إبادة جماعية ضد الفلسطينيين.

في ذلك الحدث، ستكتمل دائرة كفارة ألمانيا — دليل على أن التاريخ، عندما لا يواجه حقاً، لديه طريقة في مطالبة الدفع مرة أخرى وأخرى. فقط باستعادة “أبداً مرة أخرى” إلى معناه العالمي — أبداً مرة أخرى لأي أحد — يمكن لألمانيا كسر تلك الدورة أخيراً وخلاص وعدها للإنسانية.

المراجع

محكمة العدل الدولية (ICJ)

- تطبيق اتفاقية منع وعصاب جريمة الإيادة الجماعية (جنوب أفريقيا ضد إسرائيل)، أمر بالتدابير المؤقتة، 26 يناير 2024.
- إعلان التدخل من قبل جمهورية ألمانيا الاتحادية (جنوب أفريقيا ضد إسرائيل)، مقدم في 12 يناير 2024.
- قضية انتهاكات مزعومة لاتفاقية الإيادة الجماعية في قطاع غزة (نيكاراغوا ضد ألمانيا)، طلب مقدم في 1 مارس 2024، أمر بالتدابير المؤقتة، 30 أبريل 2024.
- بيانات صحفية لـ ICJ رقم 2024/13، 2024/17، 2024/25.

الأمم المتحدة والمنظمات الدولية

- لجنة التحقيق الدولية المستقلة التابعة للأمم المتحدة حول الأراضي الفلسطينية المحتلة، تقرير عن الوضع في غزة، 16 سبتمبر 2025.
- اللجنة الخاصة التابعة للأمم المتحدة بشأن الممارسات الإسرائيلية، تقرير 14، A/79/450، 2024 نوفمبر.
- منظمة التعاون الإسلامي (OIC)، البيان الختامي، 6 ديسمبر 2023.
- مجلس التعاون الخليجي (GCC)، إعلان القمة، 1 ديسمبر 2024.
- الجمعية العامة للأمم المتحدة، سجل حRFI، بيان الرئيس غوستافو بيترو (كولومبيا)، 23 سبتمبر 2025.

الدول والحكومات

- جمهورية جنوب أفريقيا، طلب بدعوى الإجراءات، 29 ICJ، ديسمبر 2023.
- جمهورية تركيا، إعلان التدخل في جنوب أفريقيا ضد إسرائيل، 7 أغسطس 2024.
- جمهورية نيكاراغوا، طلب بدعوى الإجراءات (نيكاراغوا ضد ألمانيا)، 1 ICJ، 1 مارس 2024.
- بيانات حكومات البرازيل وكولومبيا والمملكة العربية السعودية ومالزيم وإندونيسيا وبوليفيا (2023-2025).

منظمات حقوق الإنسان والقانونية

- منظمة العفو الدولية، إسرائيل/الأراضي الفلسطينية المحتلة: استخدام التجويع كسلاح حرب في غزة، تقارير وبيانات صحفية، يناير-سبتمبر 2025.
- هيومون رايتس ووتش، «محو: أفعال إسرائيل الإبادية في غزة»، 19 ديسمبر 2024.
- المركز الأوروبي للحقوق الدستورية وحقوق الإنسان (ECCHR)، رأي قانوني: توافق ألمانيا في الإبادة الجماعية في غزة، 10 ديسمبر 2024.
- الاتحاد الدولي لحقوق الإنسان (FIDH)، بيان بشأن إبادة غزة، 2025.
- الرابطة الدولية لعلماء الإبادة الجماعية (IAGS)، قرار، 31 أغسطس 2025.
- بتسيلم، إبادتنا: حرب إسرائيل على غزة 2023-2025، 2025.
- أطباء لحقوق الإنسان - إسرائيل (PHRI)، الصحة والإبادة الجماعية في غزة، 2025.
- الحق، سجل أفعال الإبادة الجماعية في غزة، 2024-2025.
- مراقب حقوق الإنسان الأوروبي-متوسطي، بيانات صحفية وتقارير الوضع، 2024-2025.
- ميديكو إنترناشونال، مقابلات وميزات الدعوة حول غزة، 2025.

الأعمال العلمية والتحليلية

- أشيل مييمبي، نقد العقل الأسود (2017) ونيكروبوليتิกس (2019).
- حنا أرندت، أصول الشمولية (1951).
- بريمو ليفي، الغرقى والناجين (1986).
- يورغن زيمبر ويواخيم زيلر (محرر)، الإبادة الجماعية في جنوب غرب أفريقيا الألمانية: الحرب الاستعمارية 1904-1908 وما بعدها (2008).
- إيزابيل هال، التدمير المطلق: ثقافة العسكرية وممارسات الحرب في ألمانيا الإمبراطورية (2005).

التغطية الإعلامية

- الغارديان، «محكمة العدل الدولية ترفض طلب إصدار أمر لألمانيا بوقف بيع الأسلحة لإسرائيل»، 30 أبريل 2024.
- رويتزر، «محكمة العالم ترفض تدابير طارئة بشأن تصدير الأسلحة الألمانية لإسرائيل»، 30 أبريل 2024.
- فاينانشال تايمز، «ميرز الألماني: أفعال إسرائيل في غزة لم تعد مبررة»، 3 مايو 2025.
- لوموند، «مستشار ألمانيا ميرز مضطر لتبرير تعليق تسليم الأسلحة لإسرائيل»، 12 أغسطس 2025.
- تايم ماغازين، «ألمانيا تعلق مبيعات الأسلحة المرتبطة بغزة لإسرائيل مع رد فعل عالمي على خطة الاحتلال»، أغسطس 2025.

- الجزيرة، “ناميبيا وغزة ونفاق ألمانيا بشأن الإيادة الجماعية”， 20 فبراير 2024.
- أسوشيوتيد برس، “ألمانيا توقف تصدير العسكري لإسرائيل للاستخدام في غزة”， أغسطس 2025.
- دويتشه فيله، “ألمانيا تتدخل رسمياً في محكمة العدل الدولية لدعم إسرائيل”， يناير 2024.
- واشنطن بوست، “ألمانيا هي الدولة الوحيدة التي تنضم إلى إسرائيل في محكمة العالم”， يناير 2024.